مطرٌ تُعجزُه نارٌ

وجدتُه أمامي وجهًا لوجهٍ. من هو؟ أذكُرُه ولا أعرفُه، كأنه كان أو كنتُ نسيًا منسيًّا. فتَّشتُ في المكانِ: لم أجد أثرًا لنخلةٍ أو لجموعٍ ساخرةٍ أو مُتَّهِمَةٍ. هممتُ أن أسأله عن نفسِه أو عن نفسي. تلاشى تمامًا، لكنَّ صدًى أخذَ يتردَّدُ دونَ أن أكتشفَ له مَصْدَرًا أو أحدِّدَ وجهًا في نطاق رؤيتي. صدى يقول:

- من أنت؟ لماذا عدتَ؟ ألا تعرفُ أنَّ الخطواتِ استحالةٌ.

لم أستطعْ أن أُحدِّدَ إن كانتِ الاستحالةُ من التغيِّرِ أم من المستحيلِ. وما إن تلاشى الصدى حتى وجدتُ نارًا تشبُّ على البُعْدِ، وفوقها أمطارٌ غزيرةٌ تتساقطُ عليها دون أن تستطيعَ أن تُطفئَ منها شيئًا أو أنَّها تطفئها وسرعان ما تعود النيرانُ إلى كاملِ قوَّتِها.

أحسستُ بالفزعِ والدَّهشةِ والذُّهولِ، ولكنَّني لم أستطعْ أن أخطوَ خطوةً واحدةً نحو النار أو المطر، ولم أعرفْ كيف أتحرَّك، خاصة وأن جميع الملامحِ أو المعالمِ باستثناء النار والمطر تلاشتْ تمامًا وكنتُ واقفًا بمفردي والفراغُ بيني وبين النارِ حولي من جميع الاتجاهات.

تمنَّيتُ أن يتساقطَ المطرُ فوق رأسي ليطفئ قدرًا من نارها، لكنني ازددتُ اشتعالًا دون أن يَقْرَبَني مطر أو أستطيعَ أن أضعَ قدميَّ على طريقٍ تتَّضحُ معالمُه.

١٣ سبتمبر ٢٠١٣